(الأمير الأسير)

الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ...لا إله غيره ولا معبود سواه...نَحْمَدُه سبحانه وتعالى ونشكره ونتوب إليه ونَسْتغفرُه ، ونَعوذُ بالله مِنْ شُرُور أنْفُسِنا ومِن سَيئاتِ أعْمَالِنا مَنْ يَهدِه الله فلا مُضِلّ لَه ومَنْ يُضلِل فلا هَادي له ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له القائل : (مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا) ونشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبدُ الله ورسوله القائل : (يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ) اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد فيقول تعالى :

(لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا)

• أيها المسلمون : لقد كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رحمة مهداةً للعالمين قال تعالى : (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ) فكيف نتأسى به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ نتأسى به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى صدقه وأمانته وتواضعه وعفته ومروءته وسخائه وشجاعته فلم يكن صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ محتكرا لرأي ولا متعطشًا لسفك الدماء ولم يكن لينتقم لنفسه ولو كان خصمه بين يديه أو يتشفَّى منه لو أصابه مكروه...بل كان همهُ الأولُ أن ينقذ الله به العبادَ من النار كما أمره ربه فقال تعالى : (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) وبمثل هذه الأخلاق يجب أن تكون أخى المسلم فأنت فى هذا الوطن داعية مسلم بأقوالك وأفعالك...فمن خلال معاملتك الحسنة سيرى غير المسلم سماحة الإسلام فاحذر أن تصد الناس عن دين الله بمعاملة غير كريمة...لأن غير المسلم يتعرف على الإسلام من خلالك فيجب عليك أن تكون صورة لدينك لأن الصورة إذا اختلفت عن الأصل فقدت قيمتها ، عليك بالرفق والإحسان وتذكر أن مقام الدعوة يحتاج إلى الحلم والصبر...لما قرأ بعض الصالحين قوله تعالى لموسى وهارون عليهما السلام : (اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى) بكى وقال : سبحانك ربى ما أحلمك حين أمرت موسى وهارون أن يقولا لفرعون قولاً ليناً...فإن كان هذا هو حِلمُك بفرعون الذي قال : (أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى) فكيف يكون حِلمُك بعبد قال : سبحان ربي الأعلى؟! فالدعوة إلى الله تعالى من أفضل الأعمال ولم لا ؟ فهي وظيفة النبيين قال تعالى لنبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) والدعاة إلى الله هم أحسن الناس قولاً قال تعالى : (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ) فلئن قصرت أخى المسلم فى الدعوة إلى الله فى الماضى فباب الدعوة مفتوح فتبت من ذنبك واعلم بأن الله غفور رحيم قال تعالى :

(قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ)

فخذ مكانك بين الدعاة حتى تحظى ببشرى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (فَوَ اللَّهِ لأَنْ يُهْدَى بِكَ رَجُلٌ وَاحِدٌ خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ)

والسؤال : ألم يتحقق ظهور الإسلام في عهده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ الجواب : لا...فالذي تحقق إنما هو جزء من هذا الوعد الصادق فعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قالَتْ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : (لاَيَذْهَبُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ حَتَّى تُعْبَدَ اللاَّتُ وَالْعُزَّى) فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ...إِنْ كُنْتُ لأَظُنُّ حِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ : (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) أَنَّ ذَلِكَ تَامًّا...قَالَ : (إِنَّهُ سَيَكُونُ مِنْ ذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ...) فمعنى ظهور الإسلام سيكون الغالب فى عدده وقوته إن شاء الله .

• وحتى نتعلم كيف نقتدي ونتأسى برفقه وحلمه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول زيد بن سَعْنَة وهو حبر يهودي : إشتريت من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حائطًا بثمانين مثقالاً من ذهب إلى أجل معلوم...وقبل أن يحل وقت السداد رأيت محمدًا في نفر من أصحابه فأقبلت عليه وأمسكته من مجامع ثوبه وقلت له : أدِّى ما عليك من دَيْنٍ يا محمد فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (لم يحن الأجل بعد!) فقلت له : إنكم لمُطُلٌّ يابني عبدالمطلب...فالتفت عمر إلى اليهودي وهو لايعرفه وقال : يا عدو الله...تقول لرسول الله ما أسمع...وتفعل برسول الله ما أرى...والله لولا أني أحذر غضبه لضربت رأسك بسيفي هذا...فالتفت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى عمر فقال له : (أَنَا وَهُو يَا عُمَرُ كُنَّا أَحْوَجَ إِلَى غَيْرِ هَذَا مِنْكَ...أَنْ تَأْمُرَنِي بِحُسْنِ الأَدَاءِ ، وَتَأْمُرَهُ بِحُسْنِ التَّقَاضِي ، اذْهَبْ بِهِ يَا عُمَرُ فَاقْضِهِ حَقَّهُ وَزِدْهُ عِشْرِينَ صَاعاً مِنْ تَمْرٍ جَزَاءَ مَا رَوَّعْتَهُ) يقول زيد : فأخذني عمر فأعطاني حقّي وزادني عشرين صاعًا من التمر...فقلت له : ما هذه الزيادة ؟ قال : أمرني رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن أزيدكها جزاء ما روعتك ، فقلت : ألا تعرفني يا عمر ؟ قال : لا...قال : أنا زيد بن سَعْنَة قال عمر : حبر اليهود ؟ قلت : نعم ، قال عمر : فما الذي حملك على أن تفعل برسول الله ما فعلت ؟ قلت : والله يا عمرُ ما من علامة من علامات النبوة إلا وقد عرفته في وجه محمد حين نظرت إليه إلا اثنتين لم أعرفهما فيه : أن يسبق حلمُه جهلَه ، ولا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلمًا أما وقد عرفتهما اليوم فإني أشهدك أني قد رضيت بالله ربًا ، وبالإسلام دينًا ، وبمحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نبيًا ورسولاً...وعاد زيد مع عمر إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المسجد فقال : أشهد أن لا أله الله * وأشهد أن محمدا رسول الله ثم شهد مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المشاهد والغزوات حتى قتل شهيدًا في غزوة تبوك .

• ثم انظروا كيف كان للمعاملة الحسنة أثر طيب على أمير أسره المسلمون!!كيف فعل الأسير بعد أن أطلق سراحه ؟ فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أرسل سرية استطلاعية ناحية نجد بين مكة واليمن فَجَاءَتْ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ يُقَالُ لَهُ ثُمَامَةُ بْنُ أَثَالٍ فَرَبَطُوهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ وهم لايعرفونه...فكان قومه بنوحنيفة يحاربون الإسلام ويعينون كل من يقاتل

الإسلام والمسلمين فلما دخل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المسجد عرف ثُمَامَةُ بْنُ أثالٍ فقال لهم : (أَلاَ تَعرفُونَ مَنْ هَذَا ؟ إِنَّهَ ثُمَامةُ ابْنُ أثالٍ سَيِّدُ أَهْلِ اليَمَامَة) فأمر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصحابه أن يحسنوا إليه ، ومر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بثُمامة فقال له : (مَاذَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامةُ ؟) فقَالَ : عِنْدِي خَيْرٌ يَا مُحَمَّدُ...إِنْ تَقْتُلْ تَقْتُلْ ذَا دَمٍ ، وَإِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ تُعْطَ مِنْهُ مَا شِئْتَ...أي إن قتلتني فمن حقك تقتل عدوا لك لكم عند قومه ثأر ، وإن تعفو عني وتنعم علي وجدتني شاكرا مقدرا للمعروف غيرمنكر لجميل وإن أردت مالا فداء لي فسل ماشئت فتركه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى كان الغد فقال له : (مَاذَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامةُ ؟) فقال له مثل ما قال...فتركه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى كان اليوم الثالث فقال له : (مَاذَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ ؟) فقال له مثل ما قال... وفى الأيام الثلاثة كان يقدم له أفضل ما عند النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من طعام ، ثم قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (أَطْلِقُوا ثُمَامةَ) أي حرروه ليذهب كيفما يشاء...فماذا فعل ؟ لما أطلقه الصحابة انْطَلَقَ إِلَى نَخْلٍ قَرِيبٍ مِنْ الْمَسْجِدِ فَاغْتَسَلَ ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَقَالَ : أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إلا اللهُ ، وَأَشهد أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِّ...ثم قال يارسول الله إِنَّ خَيْلَكَ أَخَذَتْنِي وَأَنَا أُرِيدُ الْعُمْرَةَ فَمَاذَا تَرَى ؟ فَبَشَّرَهُ رَسُولُ اللهِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالجَنَّةِ وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتَمِرَ...فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ كان أَوَّلَ من لَبَّى وجهر بالتلبية ، فلما رأى المشركون رجلاً يتحداهم بهذه الصورة العلنية قالوا من هذا الذي يرفع صوته بالتلبية في بلادنا وديارنا ويردد الكلمات التي يُعَلِّمُهَا محمدٌ لأصحابه ؟ فلما أرادوا ضربه قال أحدهم : أتعرفون من هذا ؟ إِنَّهَ ثُمَامَةُ بْنُ أثالٍ سَيِّدُ أَهْلِ اليَمَامَةَ وأنتم تحتاجون إلى اليمامة في طعامكم فخلّوا سبيله...ثم قال لهم : وَاللهِّ لاَيَأْتِيكُمْ مِنْ الْيَمَامَةِ حَبَّةُ حِنْطَةٍ حَتَّى يَأْذَنَ فِيهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ...فعندما رجع إلى قومه منعهم من بيع الحنطة إلى أهل مكة حَتَّى يَأْذَنَ فِيهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لقد فعل مايسمى بالحصار الإقتصادي الذى أضر بقريش فعاشوا فى جوع وفى شدة حتى استجاروا بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فما كان منه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا أن كتب إلى ثمامة أن يرفع الحصار ففعل رضي الله عنه ، فما أعظمَ هذا الرفق الذى حوّل ثمامة من عدو مبغض لله ولرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولدينه إلى صحابي جليل.....

والسؤال : ماذا فعل ثمامة رضي الله عنه بعد إسلامه لنقتدي به ؟

أولا : أعلن الولاء لله ولرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين قال يارسول الله! إِنَّ خَيْلَكَ أَخَذَتْنِي وَأَنَا أُرِيدُ الْعُمْرَةَ فَمَاذَا تَرَى ؟ ثانيا : أعلن البراءة من الشرك حيث جهر بالتلبية أمام قريش ثالثا : قطع التبادل التجاري مع قريش فمنع قومه من بيع الحنطة لهم حَتَّى يَأْذَنَ فِيهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رابعا : فمنذ اليوم الأول من إسلامه إستشعر المسئولية فأصبح داعية للإسلام فكان سببا فى إسلام قومه الذين جاءوا إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد عامين مسلمين مبايعين بفضل سماحة الإسلام خامسا : ثبت على دينه عندما ارتد بعض قومه عن الإسلام بعد وفاة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لقد عاش ثُمَامَةُ بْنُ أثالٍ سيد أهل اليمامة عزة الإسلام بعد أيام من إسلامه ، وهكذا يجب أن يكون عليه المسلمون أن يكونوا دعاة إلى الله فى كل زمان ومكان...

• يجب أن يدرك المسلمون أن سبب قوتهم في تحقيق كلمة التوحيد التى وصفهم الله بها فقال تعالى : (إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا) فكلمة التقوى : لا إله إلا الله...وإن المتأمل في الصراعات القائمة بين الأمم الأخرى فى القرون الماضية وحتى اليوم يراها بسبب غياب كلمة التوحيد وهي : لا إله إلا الله من حياتهم فكان جزاؤهم فى الدنيا هذه الحروب وهي عذاب قال تعالى : (وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) أما جزاؤهم فى الآخرة فهو كما قال تعالى : (فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ * إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ * إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ) ماذا نستفيد من قصة إسلام ثُمَامَةُ بْنُ أثالٍ ؟

الدرس الأول : أهمية السلاح الإقتصادي فهو من الأسلحة الدولية الفعَّالة التى يمتلكها المسلمون اليوم كالنفط والطاقة...فإن كان المسلمون اليوم ضعفاء ومتفرقين إلا أنهم يملكون هذه القوة التى يستطيعون استثمارها إذا كانوا متفقين ، ولكن للأسف يوجه هذا السلاح اليوم إلى صدور المسلمين لإذلالهم والتحكم في بلادهم بأيادى ظاهرها الإسلام والإسلام منهم براء...

الدرس الثاني : من أراد أن يؤلف القلوب فعليه بالرفق قال تعالى لرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ) ويقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إِنَّ الرِّفْقَ لا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إلا زَانَهُ ، وَلا نُزِعَ مِنْ شَيْءٍ إلا شَانَهُ) والسؤال : لماذا يبغض غير المسلمين الإسلام ؟ وحتى نكون منصفين ليسوا سواءً...كما قال تعالى : (لَيْسُوا سَوَاءً ۗ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ) فمنهم من يعادى الإسلام عن قصد وعدوان ، ومنهم من يعادى الإسلام لأنهم لم يعرفوا حقيقة الإسلام فصورة الإسلام عندهم مشوهة بسبب الدعايات المغرضة وحملات التشويه العالمية للإسلام...فلابد من تغيير هذه الصورة المزيفة وتقديم الصورة الحقيقية للإسلام من خلال صدقك وأمانتك وعفتك ، من خلال الواقع العملي فى هذه البلاد عندئذ نرفع رءوسنا ونقول : هذا هو ديننا...لأن القول إذا خالف الواقع يعد قائله من المنافقين كما قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِّ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ) فماذا يكون موقفك ممن يعاديك وممن لايعاديك فى هذا الوطن ؟ سنتناوله فى اللقاء القادم إن شاء الله .

وعنه صلى الله عليه وسلم قال :

(كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون)